فى ذكرى الإمام حسن البنا
شهيد فلسطين ورمز الجهاد والتضحية
مصطفى مشهور
المرشد العام للإخوان المسلمين

لقد قضت حكمة الله عز وجل أن يكون للحق دعاة ، وللمعرفة رواد، وللفضيلة أنصار ، تصنعهم عناية الله ، ليكونوا الدليل والحادى ، لأممهم وشعوبهم ، ونماذج عملية يقتدى بها ، وهؤلاء الأبرار يسيرون على منهاج النبوة.

والإمام البنا رحمه الله ، نحسبه من هؤلاء الرواد ، لقد رحل عنا من خمسين عاما وما تزال دعوته وجماعته ، طليعة الدعوات الإسلامية الصحيحة ، ومازال ، أبناؤه يحملون لواء البعث الإسلامى ، ويتقدمون صفوفه فى جميع قارات العالم ، الخمس ولقد خفتت بجهاده وجهود أبنائه رياح التغريب ، وانكشفت الحضارات المزيفة ، وكسدت دعاوى العلمانيين والقوميين ، وانزوت أفكار عباد الغرب .

واستطاع بتوفيق الله له ، رغم العقبات والسدود ، أن ينقل الأمة فى زمن وجيز نقلة عظيمة بحسن توجيهه وفهمه للإسلام ، ومن حقه علينا ، بل على الأجيال أن نحيى ذكراه ، وأن نحافظ على بناء وضع أساسه على تقوى من الله ورضوان ، وأن نرفع راية ظل يرفعها طوال حياته ، راية القرآن والإسلام والجهاد فى سبيل الله .

رأى الإمام فى القضية الفلسطينية :

لقد اهتمت الحركة الإسلامية بجميع قضايا المسلمين فى العالم ، وكان المركز العام فى القاهرة يستقبل رموز الجهاد من جميع أنحاء العالم ، أما قضية فلسطين فقد دفع الإسلاميون الثمن غاليا فى مسيرة الجهاد والدفاع عنها ، وما يزالون ، سواء باعتقالهم ، أو بالتضييق عليهم ، والإمام البنا نفسه هو من شهداء قضية فلسطين لمواقفه العظيمة منها، يقول رضى الله عنه عن فلسطين "هى وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الإسلام ، وباعتبارها مهد الأنبياء وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله"

إن مفهوم الإمام البنا للقضية الفلسطينية ولكل قضايا العالم الإسلامى مفهوم له مرتكزات وأصول وضوابط من شرع الله ، فأرض فلسطين وقف إسلامى على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة ، لا يصح التفريط فيها ، أو التنازل عن جزء منها ، ولا يملك ذلك حاكم أو دولة ، أو منظمة ، هذا حكمها فى شريعة الإسلام مثل كل أرض فتحها المسلمون ، فهى وقف إلى يوم القيامة .

القضية الفلسطينية أكبر قضية سياسية عنيت بها الحركة الإسلامية فى مصر ، وغيرها ، ومنذ ثورة عام 1936 كانت القضية شغل الحركة الإسلامية ، ونظرة واحدة إلى الصحافة الإسلامية فى ذلك الوقت تبرهن على أن الحظر اليهودى ، كان واضحا أمام الإسلاميين ، وقد بذلوا فى العالم العربى والإسلامى ، كل ما كان فى وسعهم من جهد ، من أجل تبصير المسلمين ، وتوعية الشعوب ، بهذا الحظر ، وإعدادهم المادى والنفسى لمواجهته ، ثم كان العمل المنظم المرتب لمقاومة الخطر .

وقادت الحركة الإسلامية الدعوة إلى المقاطعة الاقتصادية لليهود ، ولمؤسساتهم التجارية ، والمؤسسات المتعاملة مع اليهود ، وأعدت كشوفا ضمنتها هذه الأسماء ، كما تم طبع كتاب (النار والدمار فى فلسطين) ووزع على نطاق واسع ، وأقاموا المؤتمرات الشعبية لنصرة فلسطين ، وخرجت المظاهرات ، ووزع الإخوان ، دعاء

للقنوت فى صلاة الفجر ، نصرة لفلسطين ، وإحياء لقضيتها فى النفوس ، وانطلق رجال
الحركة الإسلامية إلى المدن الفلسطينية، يشاركون رجالها ، ويبحثون أحوالهم ،
. وما يحتاجون إليه ، ويقدمون لهم العون والنصح ، ويشاركونهم فى محنتهم
: محنة تقسيم فلسطين
وحين جرى التآمر من خلال الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين ، والغدر بأهلها ، بدأ
العمل الجدى ، والتحرك العسكرى ، والتدريب ، وجمع السلاح ، واستنفار المسلمين
لرد الخطر ، وتحولت شعب الإخوان المسلمين فى مصر وفى البلاد العربية ، إلى
خلايا نحل لا تهدأ ليل نهار ، تستقبل أنواع المتطوعين المستعدين للجهاد بالنفس
والمال ، وما أكثرهم فى تلك الأيام ، ووجه الإمام البنا ، كلمة واضحة قوية إلى
الزعماء والحكام العرب ، فقال : (أيها الزعماء ، إن هذا الشعب ليس هازلا ،
ولكنه جاد ، وإن كان ينقصنا اليوم السلاح ، فنستخلصه من أعدائنا ، وقد عاهدنا
الله أن نموت كراما ، أو نعيش كراما)
لقد بدأ شباب الإخوان ، من مصر وسوريا والأردن والعراق ، يتسللون إلى فلسطين ،
بالرغم من القيود ، التى فرضها الاستعمار ، وحافظ عليها أذنابه ، فقد اشترك
الإخوان فى الحرب ، وفى هذه الأثناء أرسل الإمام برقية إلى زعماء الدول العربية
الذين اجتمعوا فى "عالية" بلبنان قال فيها (إنه على استعداد لدفع عشرة آلاف
مجاهد كدفعة أولى إلى فلسطين) لكنهم لم يردوا عليه .
ومفهوم الجهاد فى فلسطين وغيرها عند الإخوان ينطبق عليه الأغراض الخمسة للجهاد
:
1) رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين .
2) تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين ، الذى يحاول أعداء الله فتنتهم
عن دينهم .
3) حماية الدعوة حتى تبلغ للناس جميعا .
4) إغاثة المظلومين ، أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين .
كما طلب الإخوان من حكومة النقراشى السماح لهم بإدخال فوج من المجاهدين ليرابط
فى الجزء الشمالى من فلسطين "فى صحراء النقب" فرفض هذا الطلب ، وأصر على الرفض
.
وحين توجه اللواء المواوى القائد الأول للحملة الفلسطينية لتولى قيادة القوات
المصرية حين توجه إلى رفح حيث مركز القيادة للجيش المصرى فى حملة فلسطين وجد
أنه قد سبق إليها عشرة آلاف متطوع الغالبية العظمى منهم من الإخوان المسلمين ،
وقد أشاد ببطولاتهم وبسالتهم وقوة شكيمتهم ومعاونتهم فى الجيش المصرى فى الحرب.
وشهد بذلك أيضا اللواء أحمد فؤاد الثانى الذى حل محل اللواء المواوى بعد رؤيته
لبطولات الإخوان وما قدموه فى المعارك بشجاعتهم وبسالتهم فى ميدان القتال ،
وأقر بأن الجيش المصرى فى فلسطين كانت تمر به مواقف وأزمات، فكان الإخوان – حتى
بعد اعتقالهم – يقومون بإجلاء اليهود عن المواقع التى احتلوها ، ثم يتم تسليمها
للجيش المصرى ، كل ذلك يتم فى هدوء وصمت وشجاعة لا نظير لها ، إن نوعية
المجاهدين فى فلسطين كانت لا نظير لها فى العطاء ، والكفاح .

المؤامرة :
وبينما قوات الإخوان المسلمين تسير بخطى ناجحة إلى النصر بجوار الجيش المصرى الباسل إذا بحكومة النقراشى رئيس وزراء مصر آنذاك تعلن الهدنة ، وكان هذا أقصى ما يطلبه اليهود ليستطيعوا أن يعيدوا تنظيم صفوفهم وإقامة دولتهم ، ثم أصدر قرار حل جماعة الإخوان ، وسحب الإخوان من ميادين القتال ، وبهذه المؤامرة استجاب النقراشى لمطالب الاستعمار ، وحل جماعة الإخوان التى تقف أمام اليهود ، وقبض على قياداتها ، وأودهم السجون والمعتقلات ، وطلب من قيادات الجيش فى فلسطين القبض على الإخوان فى الميدان فرفض اللواء أحمد فؤاد صادق قائد حملة الجيش المصرى بفلسطين ، وطلب من الإخوان تسليم أسلحتهم فسلموها طائعين ، وكان الإمام البنا قد أرسل خطابا للإخوان فى فلسطين قال فيه (إنه لا شأن للمتطوعين بالحوادث التى تجرى فى مصر ، ومادام فى فلسطين يهودى واحد يقاتل ، فإن مهمتهم لم تنته)
وتم اعتقال المجاهدين فى العريش ، وكان من الممكن ألا يسلموا السلاح ، لكن المجاهد فى سبيل الله لا يعرف الانتقام لنفسه ، ولا يقر عملا لا ثمرة له ، لأنه خرج لهدف عظيم لا يتحول عنه ، ولا يساوم عليه مهما تكن الظروف .
إن الشعوب المسلمة لم تتعب ، ولم تيأس ، وأن المفاوضات طريق المآزق والمساومات والأوهام ، والتنازلات ، وإن الجهاد وحده هو طريق التحرير ، وأن الشعوب قادرة على أن تفرض إرادتها لو أعطيت حريتها واستردت أنفاسها ، فى العمل والحركة ، وهى لا تحتاج ابتداء إلى أساطيل ولا دبابات ، لكنها تحتاج إلى حرية وإرادة وإيمان وعزم ، ونحن والحمد لله أقوى مما نظن ، وعدونا أضعف وأجبن مما نتصور .
ولقد كانت الشعوب تتمتع فى ذلك الوقت بشىء من الحرية ، ولذلك استطاعت أن تتحرك وأن تعمل ، وأن يكتب الكتاب ، وأن تقام الحفلات والندوات والمحاضرات ، ، فى جو من الأمن والأمان ، فالحرية فى القول والتفكير والعمل والحركة ، ضرورات للإنسان، كضرورة الهواء والماء .
وبعد :
فالآن وبعد خمسين عاما أين وصلت بنا الحلول السلمية ، ثبت ما سبق أن حذر منه الإخوان من أن اليهود لا يريدون سلاما ، ولا تعايشا بل يريدون تحقيق عقيدة أرض المعاد ، وهى ترتبط عندهم بمطلبين :
الأول : الاستيلاء على أرض المعاد على أساس من النيل إلى الفرات .
الثانى : إعادة الشعب اليهودى إلى "أرضه" وشعارهم الدائم خذ ما تستطيع أن تحصل عليه ، دون أن تتخلى عن أى هدف من أهدافك .
وبعد خمسين عاما يهدد السفاح شارون بالحرب والعدوان على الدول العربية وتحطيم منشآتها ، وهذا ما قاله بن جوريون بعد حرب 1948 مباشرة ، حين قال (أما السيف الذى أعدناه إلى غمده ، فإنه لم يعد إلا مؤقتا ، إننا سنستله حين تتهدد حريتنا فى وطننا وحينما تتهدد رؤيا أنبياء التوراة ، والشعب اليهودى بأسره ، سيعود إلى الاستيطان فى أرض الآباء والأجداد من النيل إلى الفرات)
بعد خمسين عاما بدأ اليهود فى ذبح المسلمين فى فلسطين ، وأصبحت مواكب الشهداء

فى كل يوم تتوالى ، وأعداد الجرحى لا حصر لها ، وكل المؤشرات والدلائل تدل على
أن التعامل مع اليهود له أسلوب واحد هو الجهاد الذى نادى به الإخوان وهو الطريق
الصحيح لاستخلاص فلسطين .

هذه مقتطفات من ماضى جهاد الإخوان المسلمين فى فلسطين ، هى صفحة ناصعة قوية لو
سارت إلى نهايتها لكان النصر المبين ، وفى هذه الأيام انبعثت الانتفاضة من جديد
لتزيح العار عن هذه الأمة ، ولتعطى درسا قاسيا لأعداء الإنسانية ولتعلن عن
ضرورة الدفاع عن النفس والكرامة والوطن .

ويقول الداعية الإسلامى الأستاذ أبو الحسن الندوى رحمه الله (استطاع هذا الجيل
أن يصنع عجائب من الشجاعة والبسالة ، والاستقامة والثبات ، ولقد كانت محاولة
القضاء على آثار هذه الحركة وطمس معالمها وتعذيب جنودها ، وتشريد رجالها ،
جريمة لا يغتفرها التاريخ الإسلامى ، ومأساة لا ينساها العالم الإسلامى ،
وإساءة إلى العالم العربى ، لا تعد لها إساءة ، ولا تكفر عنها أى خدمة للبلاد ،
وأى اعتبار من الاعتبارات السياسية ، إنها جريمة لا يوجد لها نظير إلا فى تاريخ
التتار الوحشى ، وفى تاريخ الاضطهاد الدينى ومحاكم التفتيش فى العالم المسيحى
القديم ولا حول ولا قوة إلا بالله)

ولعل أحداً من المنصفين ، لا ينكر ما أصاب جهاد الإسلاميين فى العصر الحديث ،
ولا ما أصابهم فى سبيل الدفاع عن فلسطين ، حتى صاروا يخرجون من محنة إلى أخرى ،
وهذا طريق المؤمنين للاختبار والتمحيص قال تعالى "وليمحص الله الذين آمنوا
ويمحق الكافرين ، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين" سورة آل عمران

فهل تفيق الأمة العربية ، وتدرك الموقف قبل فوات الأوان ، وتتكرر مأساة 1967
مرة أخرى ؟ وهل يترك الحكام الشعوب الإسلامية لتواجه اليهود كما واجهتهم من قبل
؟ وهل استفاد الحكام من هذا الماضى ولمسوا نتائج المفاوضات ولعبة السلام
اليهودى ، وشعروا بأن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة ، يجب أن يشعر الجميع بكل ما
حدث ، ويجب أن يعان المجاهدون فى فلسطين بالمال والرجال والسلاح ، ويجب أن يعاد
الطريق الكريم الذى سلكه الإمام البنا شهيد فلسطين ، لعودة القدس والمسجد
الأقصى وفلسطين ، وهو الطريق الوحيد الأمثل الذى لا طريق سواه ، طريق الجهاد
والكفاح .

يا حكام المسلمين :

إن الإسلام دين فداء وجهاد ، ودين عمل وكفاح ، لا يعرف الاستسلام ولا يقبل الذل
والهوان ، يقول الحق سبحانه (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وفى الحديث (من
أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منى) هكذا عرفه أسلافنا ، وهكذا آمن به
الإخوان المسلمين فأقبلوا على الكفاح فى سبيل الله ، لا يبالون بما يصيبهم من
عنت وتضييق ما دام فى سبيل الله ، كيف وهم الذى يطلبون ؟ وفيه يرغبون ، وهذا هو
شعورهم والأساس المكين الذى بنوا عليه تاريخهم ، وسجلوا فيه صحائف مجدهم ، فعاش
من عاش سعيدا عزيزا ، ومات من مات كريما شهيدا .

وما أحوج العالم اليوم إلى رجال من طراز الإمام البنا ، رجال يحيون للمبادئ
وحدها ، إن الإنسانية لتفخر بمثل هذا الرجل العظيم ، رحمه الله ورضى عنه
.